نزول القُرآن على سبعةِ أحرف

هناك شبهة لدى الكثير من المؤلفين، أن القرآت السبع هي الأحرف السبع، التي قال عنها النبي الأكرم(أن القرآن نزل على سبعة أحرف). قال الجزائري:" لم تكن القرآءات السبع متميزة عن غيرها، حتى قام الإمام ابو بكر احمد بن موسى بن عباس بن مجاهد، على رأس الثلثمائة ببغداد، فجمع القراءآت السبع من مشهوري أئمة الحرمين والعراقين والشام... وقد توهّم بعض الناس أنّ القراءات السبع هي الأحرف السبع، وليس الأمر كذلك"[1].

قال ابن الجزري: " بلغنا عن بعض مما لا علم له، أنّ الأحرف السبعة التي أشار اليها النبي الأكرم ـ نزل القرآن على سبعة أحرف ـ هي قراءة هؤلاء السبعة، وإنّما وقع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا بالقراءآت السبع فظنّوا أن هذه الأحرف السبع"[2]. وقول الامام محمد مكي:" قد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممّن هو أعلى رتبة، وأجل قدرا من هؤلاء السبعة، فكيف يُظن أنّ قراءة كل واحد من هؤلاء القُرّاء السبعة المتاخرين، أحد الحروف السبعة المنصوص عليها في الحديث النبوي"[3].

وقد ردَّ السيد الخوئي إجماليّا عن هذه الشبهة: بأنّهُ إن كان مقصودهُم بالقراءات السبع المشهورة، فقد أوضحنا أنّ هذا الإحتمال باطلٌ، لعدم تواتّر القراءات المشهورة، وإن كان مقصودهم مُطلق القراءات وليس خصوص العشرة، فأنَّ من الواضح أن القراءات أكثر من ذلك بكثير.

روايات الأحرف السبعة

قال السيد الخوئي قد وردت روايات لدى بعض علماء المذاهب، أن القُرآن نزل على سبعة أحرف،منها:

أولا: أخرج الطبري عن عن...عن ابن عباس:" قال رسول الله أقرأني جبرئيل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده فيزيدني حتى إنتهى الى سبعة أحرف"[4].ورواه مسلم والبخاري بأسانيد مختلفة.

ثانيا: قال الرسول الأكرم لجبرائيل:" إنّي بُعثتُ الى أُمّةٍ أُميين منهم الغلام والخادم، وفيهم الشيخ الفاني والعجوز، فقال جبرائيل: فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف"[5].

---

[1]ـ البيان في تفسير القران، ابو القاسم الخوئي، ص177.
[2]ـ البيان في تفسير القران، ابو القاسم الخوئي، ص189.
[3]ـ ينظر:المصدر نفسه، ص177.
[4]ـ المصدر نفسه، ص189.

ثالثا: عن ابي هريرة عن الرسول الاكرم:"أُنزل القرآن على سبعة أحرف، عليم حكيم غفور رحيم"[6]. وغير ذلك من الروايات الأخرى.

الردّ التفصيلي للخوئي على الروايات المتقدمة :

من إطّلع على روايات السبعة أحرف يرى أنّ لسان الروايات متناقضة من جهات عديدة، ففي بعض الروايات ان النبي طلب من جبرائيل الزيادة في الأحرف فزاده الى سبعة أحرف، أي زيادة تدريجية. وبعضها انّ الزيادة كانت دفعة واحدة. وفي بعضها أنّ الله أمر النبي بالقراءة على ثلاث أحرف، وغير ذلك من التناقضات في لسان الروايات. كما انّ الزيادة كانت في بعض الروايات في مجلس واحد، وفي بعضا في مجالس متعددة، إذا كان جبرئيل يتردد على النبي.

ردّ الخوئي على مفهوم الأحرف السبعة الوارد في الروايات المتقدمة:

المعنى الأول للأحرف السبعة: قيل أنَّ معنى الأحرف السبعة هي المعاني المتقاربة بالفاظ مختلفة،مثل(عجِّل وأسرع وإسع)،وقد إختاره الطبري في تفسيره(ج1 ص42).ودليلهُم على ذلك:

1- إستدلّوا على ذلك المعنى بروايةٍ وَرَدَ فيها، أن كاتب الوحي كان يستفهم من النبي الأكرم: " أعزيزٌ حكيم، أو سميع عليم، أو عزيزٌ عليم، فقال النبي: أيُ ذلك كتبت فهو كذلك"[7].

2- إستدلوا أيضا بقراءة أنس، كما في**(إنَّ ناشِئةَ اللّيل هيَ أشَدُّ وطءا وأقومُ قِيلا)**المزمّل6. فقال البعض يا أبا حمزة إنمّا هي(وأقومُ)، فقال: أنس:"(أَقوَمُ ،وأَصوَبُ، وأَهدَى) واحدٌ"[8].

3- إستدلوا كذلك بانَّ أبي الدرداء كان يقرء رجلا**(إنَّ شَجَرَةَ الزَّقّومِ طَعامُ الأثيم)** الدخان43-44. فقال الرجلُ طعام اليتيم، فلما شعر ابو الدرداء ان الرجل لا يفهم، قال ابو الدرداء: إنّ شجرةَ الزَّقّوم طعامُ الفاجر[9]. أي معنى مقارب للأثيم.

4- إستدلوا أيضا بروايات تدل على جواز التوسعة في المعنى،ما لم تُختم آية رحمة بعذاب، أو آية عذابٍ برحمة. مثل: (انَّ الله شديد العِقاب، إنّ الله رؤوفٌ رحيم).

وقد ردَّ السيد الخوئي وجوه الإستدلال المتقدمة، بانَّ جميعها بعيدةٌ عن معنى الروايات، بدليل:

---

[5]- المصدر نفسه، ص192.
[6]- المصدر نفسه، ص193.
[7]- البيان في تفسير القران، الخوئي، ص197.
[8]- المصدر نفسه، ص197.
[9]- تفسير الطبري، ج25، ص78.

أولا: أنّ المعاني السبعة يُمكن أنّ تتحقق في بعض معاني القُرآن، التي يُمكن أن يُعبّر عنها بالفاظ سبعة متقاربة، ولكن أكثر القرآن لا يتحقق فيه ذلك، والمفروض بحسب الروايات أنّ القُرآن كُلّهُ نزل على سبعة أحرف، والحال أنّ ليس كُل مفردات القرآن يُمكن ان نُعبّر عنها بالفاظٍ سبعة.

ثانيا: إنّ جواز تبديل كلمات القرآن بكلماتٍ أخرى، كما في الروايات المتقدمة، فهذا يعني هدم المعجزة القرآنيّة التي يتحدّى بها الناس،وهذا يعنى هجر ألفاظ القرآن المُتواتر الى الفاظٍ أخرى مترادفة مادام المعنى لا يتغير في ذهن السامع .

فهل يُعقل انّ النبي يُرخّص بانّ يُقرء القُرآن بألفاظٍ مترادفة. على سبيل المثال بدل قراءة**(يس والقُرآنِ الحكيم إنَّك لَمِنَ المُرسلين على صراطٍ مستقيم تنزيلَ العزيز الرحيم...)** يُقرء**(يس والذكر العظيم إنّكَ لمن الأنبياء على طريق سوي إنزال الحميد الكريم، لِتُخوّف قوما ما خوّف أسلافهم فهم ساهون).** فهذا بهتان عظيم، قال تعالى:"(قل ما يكون لي أن أُبدِّلَهُ من تِلقاءِ نفسي إن أَتَّبِعُ إلّا ما يُوحى اليَّ) يونس15.

ثالثا: ان الروايات المتقدمة صرّحت ان الحكمة من نزول القران على سبعة أحرف، هي التوسعة على الأُمّة، لأنّهُم لا يستطيعون القراءة على حرف واحد، خصوصا وأنَّ لهجات القبائل العربية مُتعددة، ولذلك طلب النبي بزيادة أحرف قراءة القران.

إلّا انّ هذا خلاف الواقع، فقد قالوا أنّ سبب حصر الخليفة الثالث القراءة بحرف واحد، وإحراق باقي نسخ القران، خوفا من تبدّل وتحريف القُرآن، وكذلك تكفير بعض المسلمين للبعض بسبب تعدد وإختلاف القراءات التي بين أيديهم، فكيف يصح للنبي ان يطلب من الله تعالى ما يفسد به الأمّة، وكيف يأذن الله تعالى بذلك، حتى أّن في بعض الروايات ان النبي إحمرّ وجهه حين ذُكرَ له الإختلاف في القراءة.

وبسبب هذه الإشكاليات الكثيرة والواضحة، قال بعض أهل العلماء، منهم ابي جعفر محمد بن سعدان النحوي، وجلال الدين السيوطي، انّ هذه الروايات المتقدمة من قبيل المُشكل والمتشابه، ولا يُعلم مفادها[10].

المعنى الثاني للأحرف السبعة: قيل بأنّ الأحرف السبع تعني الأبواب السبع، وهي(الزجر والأمر والنهي والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال)مستدلين على ذلك برواية يونس باسناده عن ابن مسعود عن النبي الاكرم،أنّه قال: كان الكتاب الأول نزل من باب واحد على

---

[10]- التبيان ،طاهر بن صالح الجزائري، ص61.

حرف واحد، ونزل القران من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف: فأحِلُّوا حلالَه، وحرَّموا حرامه وافعلوا ما أُمرتم به، وانتهوا عمّا نُهيتم عنه، واعتبروا بالأمثال، واعملوا بمُحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنّا به كلٌ من عند ربّنا[11].

وقد ردَّ السيد الخوئي على هذا القول بما يلي:

1- ظاهر الرواية انّ الاحرف السبعة غير الأبواب السبعة.

2- هذه الرواية معارضة لرواية ابن مسعود: انّ الله انزل القران على خمسة أحرف:حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال[12].

3- ان الرواية مُضطربة، لانّ الزجر والحرام بمعنى واحد، وبذلك ينقص عدد الأحرف السبعة، مضافا الى ان القران ورد فيه أمور أخرى، لم تُذكر في الأبواب السبعة، مثل المبدء والمعاد والقصص والاحتجاجات وغيرها من المعارف، ولا يمكن القول بان هذه المعارف تدخل في المحكم والمتشابه، وإلّا لكانت الأبواب السبعة داخلة في المحكم والمتشابه ايضا، وينحصر القران في حرفين المحكم والمتشابه.

بل أنّ هناك رواية تكشف انّ الأبواب السبعة غير المعنى المتقدم، كما في روايةمحمد بن بشار باسناده عن أبي قلامة، قال: بلغني ان النبي قال: أُنزل القُرآن على سبعة أحرف: أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل[13].

المعنى الثالث للأحرف السبع: وقيل انّ الأحرف السبعة بمعنى اللغات السبعة لدى العرب، وأنّها مُتفرقة في القُرآن، بعضهُ بلغة قريش، وبعضهُ بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضهُ بلغة اليمن، وبعضه بلغة كنانة، وبعضه بلغة تميم، وبعضه بلغة ثقيف. قال بذلك البيهقي والأبهري.

وردَّ السيد الخوئي هذا المعنى: بانّ الروايات المتقدمة قد عيّنت معنى الأحرف السبعة غير هذا المعنى، فلا معنى لحملها على هذا المعنى الجديد. مضافا الى أنّهُ قد ورد عن الخليفة الثالث أنّهُ قال: للرهط القرشيين الثلاثة، "إذا إختلفتُم أنتُم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن،فأكتبوه بلسان قريش، فإنّما نزل بلسانِهم"[14]. ولم نسمع بانّ القرآن نزل بلغة قريش حصرا.

---

[11]- تفسير الطبري، ج1، ص23.
[12]- تفسير الطبري،ج1، ص24.
[13]- تفسير الطبري، ج1، ص24.
[14]- صحيح البخاري، ج1، ص156.

وكذلك ورد أنّ الخليفة الثاني إختلف مع هشام بن حكيم في قراءة سورة الفرقان، فقال النبي لكُلٍ منهُما: "هكذا نزلت، ثمَّ قال: أن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف"[15]. ونحن نتساءل كيف يختلف الصحابة في محضر الرسول الأكرم، الّذي هو الأدرى بالنزول. وبذلك تكون الروايتين غريبتين.

المعنى الرابع للأحرف السبع: هي خصوص لغات مَضَر السبعة(قريش وأسد وكنانه وهذيل وتميم وضبّه وقيس). ويرد عليه بنفس الردّ السابق.

المعنى الخامس للأحرف السبع: وهي الإختلافات السبع بين القراءات، فقال بعضهم تدبرتُ وجوه الإختلاف في القراءة فوجدتها سبعا.

1- تتغيّر حركتهُ ولا يتغيّر معناه ولا صورته،(هُنَّ أَطهَرُ لَكُم)هود78.بضمِّ أطهر وفتحه (أطهرَ)
.2- تتغيّر صورته ومعناه،مثل قراءة أهل المدينة والكوفة(رَبَّنا بَاعِد بَينَ أسفارِنَا)،بالألف،فعل ماضي بمعنى(أنتَ باعد). وقراءة أهل مكّة والبصرة(بَعِّد)بالأمر،بتشديد العين دون ألف.

3- تبقى صورته ويتغيّر معناه،مثل(كَالعِنِ المنفُوش) القارعة5.والعِهن الألوان من الصوف، بمعنى الصوف المنفوش.

4- تتغيّر صورته ومعناه،(وَطَلحٍ مَّنضُودٍ)الواقعة29. قال إبن كثير، الطلح شجر عظمي كثير الشوك، ونُقل عن علي (عليه السلام)أنَّ الطلح هو (الطلع)، والطلع السِدر، وقال الجوهري: الطلح لغة الطلع.

5- الإختلاف في التقديم والتأخير،مثل(وجاءت سكرة الموت بالحق)و(وجاءت سكرت الحق بالموت). وغير ذلك من الإختلافات حتى تبلغ سبعة إختلافات.

ردّ السيد الخوئي: بانَّ هذا المعنى إجتهادي لا دليل عليه، ويكفي ما قاله الجزائري من أنّ الأقوال في هذه المسالة كثيرة، وغالبها بعيد عن الصواب. سببها الإختلاط والتوهّم بأنّ الأحرف السبعة هي القراءات السبع[16].

المعنى السادس للأحرف السبعة: انّ المراد بها اللهجات السبع المختلفة لدى قبائل العرب، بصفة أنّ القرآن نزل بلغة القبائل العربية.

---

[15]- صحيح البخاري، كتاب الخصومات،رقم الحديث2241.
[16]- البيان في تفسير القران، الخوئي، ص208.

ردّ السيد الخوئي بأنّ هذا الوجه أفضل الوجوه المتقدمة، إلّا أنّه غير تام أيضا، لكونه ينافي ما ورد الخليفة الثاني والثالث من أنّ القرآن نزل بلغة قريش، بل قد منع الخليفة الثاني إبن مسعود من قراءة(عتَّى حين). مضافا الى ان هذا الوجه لو صحَّ لجاز أن يُقرء القرآن باللهجات المتعددة، وهذا خلاف السيرة القطعيّ من جميع المسلمين[17].

[17]- البيان في تفسير القران، الخوئي، ص213.